

مرحلة يتخللها اليأس تُبشر بالنصر الذي يشتد قبله البلاء

لقد كانت جريمة التهجير القسري آخر جريمةٍ ترتكب بحقِّ أهل الشام على مرأىٍ وسمعٍ من العالمِ أجمعٍ، ذلك العالمُ الذي جعل شعارات حقوق الإنسان ورقةً توتَّ يستترُّ بها على جرائمه بحقِّ البشرية، فكان المجتمع الدولي هو العدو الأول لهذه الثورة جاعلاً من الجرم بشار الأسد واجهةً له، أما ثورة الشام فبعد أن طرقت أبواباً ظنتها أبواب رحمة، فإذا هي أبواب عذابٍ، وتيقنت أن لا باب يُطرق إلا بباب الرحمن، فيه العز والتمكين، ومنه يأتي النصر والظفر.

فبعد القتل والدمار والتهجير المتكرر الناتج عن الهدن والمفاوضات، وبعد خذلان القريب والبعيد، ينفذ العدو إلى قلوب الناس ليثبت سعوه الداعية للثيأس والخنوع، والاستسلام والخضوع، وربما كان هذا السلاح أشد فتكاً من صواريخه المدمرة، وبراميله المتفجرة، ومن مؤامراته المهجّرة، فالوهن والضعف مرضٌ فتاك ما أصاب أمّة إلا وأهلكها.

لذلك أكد القرآن على أن هذا المرض لا يتلبس به إلا القوم الكافرون فقال تعالى على لسان أنبيائه: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾. فالمؤمنون أقواء بدينهم وثقتهم بأن الله ناصر دينه، مهما ظهر للعيان أن الباطل علا وبختر، فأمة الإسلام نصرت وتمكن لهم فعاشوا في ظل الخلافة الإسلامية فكانت دولة العزة التي عزوا بها، وكانت سيدة الدنيا وكانت الأمة في ظلها سيدة الأمم، حتى صارت ملوك الشرق والغرب تحاف المسلمين وتحسب لهم ألف حساب.

أيها المسلمون في الشام عقر دار الإسلام، لقد أدركتم أن الفصائل المرتبطة بمال الداعمين هي التي تشكل خطراً على ثورتكم، وأدركتم خطر المنابر عندما اعتلاتها مشرعون بغير علم ويتبعون أهواهم، وأدركتم حاجة ثورتكم لميثاق فيما بينكم وميثاق مع ربكم لإقامة خلافة راشدة، والتخاذل قيادة سياسية واعية صادقة مخلصة، توجه طاقات الأمة وأهل القوة المخلصين فيها - وكم هم كثر - لإسقاط النظام وإقامة حكم الإسلام؛ إن وعيكم لهذا هو مفتاح النصر، ولليل قوة الثورة وتقديمها، رغم انحسار مناطقها، فالثورة هي فكرة تبدأ باقتلاع الخوف من جدار أصم يُشَاعُ أن له آذاناً تصغي، وتنتهي باقتلاع أنظمة عتيدة بُنيت بأيدي المستعمرين. وإن الله لم يهلك عدوكم طال الزمان أم قصر، تلك هي سنة الله في خلقه، أجراها الله على أنبيائه، شدة في البلاء تسبق النصر، فاثبتو على الحق الذي خرجم لأجله، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيَّسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَكْفَمُ قَدْ كُذِبُوا جَاءُهُمْ نَصْرُنَا فَنَحْيِ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. أي حتى إذا استیأس الرسل من استجابة قومهم لهم وظنوا أن أقوامهم لن تصدق بهم وأنهم كذبوهم، وكل هذا من الشدة التي يلاقيها الرسل في دعوتهم، عندها، أي في قمة الشدة يأتي نصر الله سبحانه وتعالى، فالمسلم لا يیأس من رحمة الله أبداً وإنما قد يستئپس من الناس أن يستجيبوا له لشدة أذاهم وظلمهم... وكل هذا يبين أن الشدة يخلفها الفرج بإذن الله وإن ظلمة الليلة مؤذنة بيروغ الفجر... فاثبتو أيها المسلمون في الشام على الحق الذي أنتم عليه، والله ناصر من ينصره، والله عزيز حكيم.

حزب التحرير

02 من رمضان 1439هـ

ولاية سوريا

2018/5/18